الوحدة: المشرق الاسلامي بين القرنين (8-15م)

السداسي السادس:

المحور الأول: الخلافة الفاطمية في المشرق الإسلامي.

المحاضرة 3: انتقال الدولة الفاطمية الى المشرق (الخطوات الاستقرار والتوسع).

هدف المحاضرة: تبين حيثيات قيام الدولة الفاطمية بالمغرب وسياستها به وعوامل وحيثيات انتقالها الى مصر.

تمكن الشيعة الاسماعيلية من إقامة خلافتهم بالمغرب الاسلامي ولكن سرعان ما نقلوها إلى المشرق فما هي اسباب ذلك وكيف تم؟.

الخلافة العبيدية بالمغرب (297-362/909-973م):

استقر الأمر للعبيديين بالمغرب بعد جهود دعوية وحرية كبيرة مكنتهم من بسط سلطتهم

السياسية دون السلطة الروحية التي سعوا إليها، بفعل مذهبهم الشيعي المخالف لعموم أهل المغرب، ولما أشيع عن ادعائهم للنسب العلوي، حيث نفى أغلب علماء ومؤرخو أهل السنة نسبهم إلى آل البيت العلوي وسموها العبيدية نسبة إلى أول خلفائها عبيد الله المهدي، وممن قال بانتسابهم إلى آل البيت ابن الاثير والمقرئزي وابن خلدون إضافة إلى مؤرخي الشيعة.

وسواء صح نسبهم أم لم يصح، فما يهمنا في الموضوع هو تاريخ هذه الدولة وحضارتها وما قدمته للإسلام والمسلمين، من خير أو شر، وما يستفاد من ذلك من عبر، فقد يكون النسب شريفا والعمل فاسد فلا يغني في الدنيا والآخرة والعكس، ولنا في ابن نوح عليه السلام وأبو لهب أكبر عبرة.

وقد حكم المغرب أربعة خلفاء فاطميين في الفترة من سنة (297/909م) إلى سنة

(362/973م)، وهي السنة التي انتقلوا فيها المشرق وكان المعز لدين الله الفاطمي هو آخر هؤلاء

الخلفاء، حيث انتقل بالخلافة إلى عاصمته المشرقية الجديدة القاهرة التي اتخذها عاصمة جديدة

للفاطميين، بعد أن تم له فتح مصر على يد قائده جوهر الصقلي سنة (358/969م)، والخلفاء

الأربعة هم:

1 المهدي عبيد الله أبو محمد (297-322/909-934م).

2القائم محمد أبو القاسم (322-334/934-945م).

3 المنصور إسماعيل أبو طاهر (334-341/945-952م).

4 المعز لدين الله أبو تميم (341-362/952-973) ثم انتقل الى مصر.

أسباب اهتمام العبيديين بمصر وعموم المشرق:

- السعي للقضاء على الخلافة العباسية وضم كل الأمصار الاسلامية.
 - وفرة ثروات المشرق وخاصة مصر.
 - تعتبر مصر بوابة بلاد المشرق فالسيطرة عليها تسهل السيطرة على الشام والحجاز ثم العراق.
 - السيطرة على الحرمين الشريفين لقربهما من مصر ولأهميتهما الروحية.
 - المشاكل المذهبية والسياسية والعسكرية في المغرب.
 - مطالبة بعض أهالي مصر للعبيديين بدخولها.
- حملات العبيديين على المشرق:

بعد توطين العبيديين سلطانهم بالمغرب أخذوا يسعون إلى دخول مصر التي كانت تابعة للعباسيين ثم للاخشيديين اسما منذ سنة (323-358/935-969) معتمدين على الجانبين الدعوي والسياسي والعسكري وكانت أول محاولة عسكرية سنة (301/914) حيث بعث العبيديون جيشا من المغاربة إلى مصر فاستولى على الإسكندرية ولكن تمكن العباسيون من طردهم منها، وفي سنة (307/920) ساروا مرة ثانية إلى مصر ودخلوا الإسكندرية فقاومهم العباسيون وهزمهم مرة أخرى وأحرقوا الكثير من مراكبهم وأرغموهم على الخروج سنة (309/922)، وبعدها قاموا بحملة ثالثة ودخلوا مصر وبقوا بها ثلاث سنوات (321-324/933-936) وعقدوا معاهدة صلح لم يطل أمدها حيث حاربهم العباسيون وأرغموهم على العودة إلى المغرب مرة أخرى.

دخول مصر والتوسع:

شهدت الدولة العبيدية بالمغرب في خلافة المعز لدين الله (341-362/952-973) استقرارا وقوة مكنتهم من ضبط الشؤون الداخلية للدولة، حيث قضوا على الثورات وفرضوا سلطة الدولة إلى المغرب الأقصى في حملات عسكرية بقيادة جوهر الصقلي سنة (347/958) وسنة (357/968)، ولم تخرج عن سلطانهم إلا أقاليم ضيقة كانت خاضعة للأمويين خلفاء الأندلس، هذا ما مكنهم من الإلتفات إليأطماعهم الخارجية وعلى رأسها مصر وعموم المشرق.

فضاعف العبيديون محاولاتهم الدعوية والعسكرية الحثيثة نحو الجبهة الشرقية، فأعدوا العدة لذلك بنشر الدعاة والتحضير العسكري بدءاً من سنة (355/966م) فحفروا الآبار على طول الطريق من المغرب الأدنى إلى مصر، وقاموا ببناء أماكن راحة الجنود، وأخرى للخليفة وحاشيته، إضافة إلى إغداق العطاء على الجيش المتوجه إلى مصر كي لا يفكر إلا بمهمته الحربية، زيادة على استغلالهم لفرصة ذهبية في مصر وهي اضطراب الأوضاع السياسية والاقتصادية أكثر بعد وفاة واليها القوي كافور الإخشيدي سنة (357/968م)، فساروا إليها في حملة ضخمة وتمكنوا من دخولها ابتداءً من سنة (358/969م) وإخراجها من سلطة العباسيين وتم لهم ذلك في خلافة المعز لدين الله بقيادة جوهر الصقلي الذي فتح عموم مصر وضبطها تمهيداً لنقل الخلافة إليها.

فأزال سلطة العباسيين وشعاراتهم وسك النقود الفاطمية واجتهد في استئصال أعداء الفاطميين والقضاء عليهم وشرع في بناء العاصمة القاهرة في نفس السنة ثم مؤسساتها المهمة كالأزهر سنة (359/970م) ليكون منبراً للفكر الشيعي.

وبما أنّ الهدف الرئيسي للعبيديين من دخول المشرق هو إسقاط العباسيين في العراق وفرض السلطة الروحية الشيعية على كل المسلمين، أخذ جوهر الصقلي بعد استقرار أوضاع مصر يحضر لغزو أقاليم جديدة فدخلوا الشام بغزو فلسطين ودمشق سنة (359/970م) واتموا غزو الشام سنة (360/971م) فدانت لهم بذلك مصر والشام، ولكن دخلوا بعد ذلك في حروب مع الشيعة القرامطة عطّلت سيطرتهم المطلقة على الشام فترة من الزمن، وجعلتهم يوقنون بصعوبة الوصول إلى بغداد معقل العباسيين، واستمر توسع الفاطميين بعد انتقال الخلافة إلى مصر سنة (362/973م).
انتقال الخلافة إلى مصر (362-567/973-1171م):

وبعد أن مهد جوهر الصقلي مصر للمعز العبيدي وأحكم أمورها جهّز المعز جيوشه وحاشيته وأهله وأمواله ونقل حتى وفاة أجداده، وسار إلى مصر ليتولى أمرها، وأسند سلطة المغرب الإسلامي إلى الأمير الصنهاجي بلكين بن زيري وضم المعز إلى مصر أجزاء من المغرب الأدنى ودخل مصر سنة (362/973م).

وبذلك انتقلت الخلافة العبيدية من المغرب إلى مصر التي أصبحت دار خلافة شيعية منافسة للخلافة العباسية السنية في العراق، وكان هذا بمثابة انقلاب مذهبي وثقافي سيغير وجه مصر وبعض الامصار المشرقية لفترة من الزمن.

واستمر الفاطميون في محاولاتهم الحثيثة للسيطرة على المشرق، فبعد تراجع خطر القرامطة أحكموا سيطرتهم على الشام ووصلوا إلى شمال العراق (دون وسط وجنوب العراق) فسيطروا على الموصل سنة (382/992) كما امتدت سيطرتهم إلى اليمن.

واستمر التفوق الفاطمي على الصعيدين السياسي والعسكري الى منتصف القرن (5)، ليبدأ بعد ذلك بالانحدار، ففي المغرب قطعت لهم الخطبة وخرج عن سلطانتهم في عهد المعز بن باديس الصنهاجي سنة (443/1051)، وأما المشرق فظهر على مسرح الأحداث قوة جديدة هم السلاجقة السنة حلفاء الخلافة العباسية، الذين وصلوا الى بغداد سنة (447/1055) وأعطوا أهل السنة في المشرق نفسا جديدا في مواجهة الاطماع الفاطمية الشيعية، وساهموا في ظهور قوى مناهضة للفاطميين كالزنكيين والايوبيين الذين كان سقوط الفاطميين على أيديهم بفضل قائدهم الاول صلاح الدين الايوبي سنة (567/1171).

خلفاء الدولة العبيدية بمصر:

- 1- المعز لدين الله (341-365/952-975)
- 2- العزيز بالله (365-386/975-996)
- 3- الحاكم بأمر الله (386-411/996-1020)
- 4- الظاهر لإعزاز دين الله (411-427/1020-1035)
- 5- المستنصر بالله (427-487/1035-1094)
- 6- المستعلي بالله (487-495/1094-1101)
- 7- الأمر بأحكام الله (495-523/1101-1130)
- 8- الحافظ لدين الله (524-544/1130-1149)
- 9- الظافر بأمر الله (544-549/1149-1154)
- 10- الفائز بنصر الله (549-555/1154-1160)
- 11- العاضد لدين الله (555-567/1160-1171)

يظهر لنا في الأخير أنّ العبيديين سعوا منذ تأسيس خلافتهم بالمغرب إلى غزو المشرق بهدف السيطرة على العالم الاسلامي وإسقاط القوى المنافسة وكان لهم ذلك بفضل التخطيط المحكم، وتمكنوا من تحقيق الكثير من اهدافهم في المشرق ولكن لم تطل سطوتهم حتى اخذوا في الضعف ثم التراجع والسقوط، وصدقت فيهم نظرية ابن خلدون في قيام الدول وسقوطها.